

فقه الرحمة في خلق رسول الله ﷺ ومعالمها في علاقته ﷺ بأسرته

إعداد

د. إيمان محمد علي عادل عزام

من أبحاث المؤتمر الدولي
نبي الرحمة محمد ﷺ

المنعقد في الفترة ٢٣ – ٢٥ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢ – ٤ أكتوبر 2010م

برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله–

والذي نظمته

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



www.sunnah.org.sa



المقدمة

١ – كلمة شكر للجمعية العلمية السعودية للسنة:

في البدء يشرّفني أن أشكر الجمعية العلمية السعودية للسنّة على قيامها بواجبها المنوط بها -كونها جهة مختصة علمياً في السنة النبوية وعلومها – وذلك على دعوتها علماء المسلمين من شتى بقاع الأرض؛ لتقديم تأصيل علمي لخلق الرحمة عند نبي الرحمة محمد ﷺ في صورة دراسة علمية موثَّقة لخلق أصيل من أخلاق رسول الله ﷺ غاب علمُه كلّياً على المجتمع الغربي، وغابت كثير من تفاصيله على المجتمع المسلم المعاصر.

لقد حققت الجمعية بهذه الخطوة أموراً في غاية الأهمية:

الأمر الأول: وضع منهجية علمية للتعامل مع المواقف عملياً، تمثّلت في نصرة رسول الله ﷺ ردّاً على ترّهات نفر من الغربيين ومن سار في ركابهم ونهج نهجهم في وصفهم الجائر لنبي الرحمة ﷺ بما لا يليق به، وبما يصادم الحقائق العلمية والتاريخية..

وهذا المنهج العلمي الجاد معروف على المستوى النظري، إلاّ أن نقله من حيّز التوصيات النظرية إلى حيّز التطبيق العملي في صورة مؤتمر يؤصل خلق

الرحمة من كافة جوانبه؛ إظهاراً للحقائق، ودفعاً للشبهات يُحسب لهذه الجمعية.

الأمر الثاني: أوضاع المجتمع المعاصر بحاجة ماسة إلى نشر ثقافة الرحمة بما فيها من دراسات جادة دقيقة لكل مباحثها وجزئياتها،؛إذ إن مراقبة الأحداث اليومية تظهر أن غياب قيمة الرحمة سبب أكيد في أزمة الحضارة المعاصرة، ومن مظاهر ذلك:

١ – كثرة القتل والسفك، وانتشار الجريمة، وانتهاك المواثيق الدولية في الحروب والأسرى، وظهور العنف الأسري.

٢ – أصبح الزواج معركة يتنازع فيها الطرفان الحقوق والواجبات، وصار الاستقلال الأسري عرفاً عصرياً يدفع ثمنه الآباء والأمهات يوم تشتد حاجتهم إلى المؤنس والمعين، وفقد الكثيرون القدرة على الاستماع للنشء، وفهمهم واحتوائهم.

٣ – على صعيد الاقتصاد، عمّ الربا، والاحتكار، وانتهى جشع البشر إلى المتاجرة بصحة الإنسان.

٤ – وأخيراً نالت البيئة نصيباً من قسوة الإنسان، فظهر التلوّث والوباء الموصل إلى كارثة محققة.

كل هذا نشأ في ظل غياب خلق الرحمة، فصار سبباً رئيساً لتلك الفوضى

العارمة في العلاقات الإنسانية، بل في العلاقة بين الإنسان وغيره من المخلوقات مهما أمكن أن يكون هناك من أسباب أخرى.

واستعادة قيمة الرحمة يتطلب تقديم قاعدة عقلية وفهماً صحيحاً، من خلال توضيح الدليل والبرهان، والتعليل لأهمية هذه القيمة ونفعها، حتى يكسبنا ذلك قوة العزم على التزام قيمة الرحمة، ثم ينتقل العزم من مرتبة النيّة المؤكدة إلى مرتبة التقليد إذا أمكن مزجه بالعاطفة والوجدان، وذلك يتحقق بربط المعرفة بالقدوة التي هي شديدة التأثير...؛ لأن الإنسان بفطرته مولع بالتقليد، والتعلّق بالنموذج الذي يعجب به، وينشدّ إليه وجدانياً[١].

وأحسب أن هذا المؤتمر أحد البدايات العلمية القوية للتأسيس المعرفي لقيمة الرحمة، مربوطاً بالاقتداء برسول الله ﷺ الذي هو المثل الذي يعجب به المسلمون صغيرهم وكبيرهم، وينشدّون إليه وجدانياً لما هداهم الله به من خير.

وبما أن التأسي بالنبي ﷺ في خلق الرحمة –تحديداً– يستتبع أخلاقاً أخرى –كما سنعرف– إذ هو المنقذ للمجتمع الإنساني من مهلكة محققة بما يسود العالم اليوم من العنف والقسوة التي ذكرنا آنفاً بعض صورها.

الأمر الثالث: هذا المؤتمر تصحيح لخطأ كاد أن يحمل وزره كافة المسلمين؛ إذ

---

(١) راجع: تعلم القيم وتعليمها، د ماجد زكي الجلاد ص (١٠٨).

إن إساءة نفر من الغربيين في حقّ رسول الله ﷺ يشير إلى أن ثمة تقصير من المسلمين في التعريف بالنبي ﷺ وبالإسلام بالشكل الصحيح، فكان لابد أن تقوم طائفة من المسلمين بهذا الفرض الكفائي امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٢] ولعلّ الجمعية العلمية السعودية للسنّة أحد أفراد تلك الطائفة.

الأمر الرابع: إن موضوع الأسرة التي تحتلّ فيها المرأة المرتبة العليا بمختلف أدوارها: أماً، أو بنتاً، أو أختاً، أو زوجةً -وهو أحد محاور المؤتمر- في غاية الأهمية؛ إذ إنه يحمل رداً على شبهة أخرى يثيرها أعداء الدين عن المرأة «مكانتها وحقوقها في الإسلام».

٢ – عرض مختصر لخطة البحث:

يتكوّن البحث بعد هذه المقدّمة من فصليْن:

الفصل الأول: وفيه تأصيل نظري لخلق الرحمة، يشمل مقدّمات ضرورية تتناول التعريف بمفهوم الرحمة، ثمّ بيان أهمية تلك القيمة، من خلال بيان صلة الرحمة بالرسالة الخاتمة والنبي الخاتم، وصلة الرحمة بأنواع من الأخلاق تتفرّع عنها استنباطاً من نصوص الكتاب والسنة.

الفصل الثاني: في خصوص فقه الرحمة في علاقته ﷺ بأسرته، ونماذج من



مواقف الرحمة في السيرة النبوية العطرة، وقد بدأ الفصل بذكر السبب الذي من أجله كانت الأسرة هي المقياس الحقيقي الذي تظهر فيه الأخلاق، تلاه تعريف بأسرة النبي ﷺ، وعني البحث بتوضيح العلاقة بين مفهومي الرحمة والحبّ، وصولاً إلى تحديد الضابط الذي نفرّق به في مواضع الاستشهاد بين السلوك الذي باعثه الحبّ، وبين السلوك الذي باعثه الرحمة، ثمّ عرض البحث أمثلة توضّح الرحمة في علاقة النبي ﷺ بأسرته من خلال نماذج حرص البحث على أن تكون متنوعة من حيث نوع القرابة من بنوّة، أو أبوّة، أو أخوّة، أو مصاهرة، ومن حيث درجة القرابة من ولد، وولد ولد؛ لتشكّل القراءة الواعية لتلك المواقف صورة تامة للرحمة في حياة نبي الرحمة ﷺ مع أسرته، وذلك لأن أسرة النبي ﷺ أسرة كبيرة، ولرسول الله ﷺ مع كل فرد منها موقف يذكره المترجمون تُتَعلّم منه مكارم الأخلاق، وأعلاها الرحمة التي يصدر عنها ﷺ في كل تصرفاته، ثمّ ينتهي البحث بما هو معتاد من **الخاتمة والتوصيات**.

والمنهج الذي اتبعته في قراءة السيرة العطرة منهج تحليلي يعتمد على القراءة الواعية لحوادث السيرة، واستنطاق ما تحت سطورها من دلالات للرحمة في خلق نبي الرحمة ﷺ.

وقد رأيت الإعراض عن الترجمة للأعلام إلا ما ندر، إيثاراً بالمساحة

المسموح بها بما يخدم موضوع البحث، فضلاً عن أن جلّ المذكورين إما صحابة كرام أو مصنفين مشهورين، والوقوف على تراجمهم في مظانها يسير لمن يريد.

وأخيراً: اعتمد البحث المصادر المشهورة في السيرة والسنّة الموثوق في جلالة مؤلفيها؛ للاطمئنان لدرجة أحاديثها، وإن كان تساهل المحدثين في رواية الأحاديث التي لا تتصل بالعقائد أو بالحلال والحرام معروف ومقبول[1].

---

(١) قال السيوطي تبعاً للنووي: «يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد الضعيفة، ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف، والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى وما يجوز ويستحيل عليه وتفسير كلامه، والأحكام كالحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالقصص وفضائل الأعمال والمواعظ وغيرها مما لا تعلق له بالعقائد والأحكام، ومن نقل عنه ذلك ابن حنبل وابن مهدي وابن المبارك...» تدريب الراوي (١/ ٢٩٨)، وذكر أحمد شاكر في شرحه ألفية السيوطي شروطاً لرواية الضعيف من غير بيان ضعفه، الأوّل: أن يكون الحديث في القصص أو المواعظ أو فضائل الأعمال أو نحو ذلك... الثاني: أن يكون الضعف غير شديد... الثالث: أن يندرج تحت أصل معمول به... الرابع: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط. ثم قال: «والذي أراه أن بيان الضعف في الحديث الضعيف واجب في كل حال» (شرح أحمد شاكر على ألفية السيوطي في الحديث ص (٨٤).

والضعيف غير الموضوع، فإن الموضوع هو المختلق المصنوع وهذا لا تجوز روايته لأحد من الناس إلا على سبيل القدح ليحذره من يغتر به من الجهلة والعوام والرعاع» انظر: الباعث الحثيث (يعني اختصار علوم الحديث) (ص٢٣٧ – ٢٣٧).



الفصل الأول

(مقدّمات ضرورية)

(أولاً):كلمة موجزة في أخلاق النبي ﷺ وشمائله.

(ثانياً): مفهوم الرحمة في لغة العرب.

(ثالثاً): صلة الرحمة بالرسالة الخاتمة والنبي الخاتم.

(رابعاً): صلة الرحمة بأنواع من الأخلاق تتفرّع عنها استنباطاً من نصوص الكتاب والسنة.

(أولاً) كلمة موجزة في أخلاق النبي ﷺ وشمائله:

رسول الله ﷺ بشر مصطفى، اصطفاه ربه على سائر البشر، ورفعه درجات، واختاره ليحمل رسالته الخاتمة، وينزل عليه كتابه العظيم، ويبعثه للعالمين نذيراً وبشيراً، ورحمة وهدى ونوراً، ويشهده على الأمم شاهداً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] فحباه بعنايته ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور: ٤٨]، واختصه بفضله، وأدبه بتأديبه، فلم تمر لحظة من لحظات حياته- عليه أفضل الصلاة والسلام -

طفلاً كان أو شاباً أو كهلاً إلا وهو محفوف بعناية إلهية لا يؤتاها بشر إلاّ فضلاً، فكان نبراس العالم وأسوته الحسنة، المعلّم الأوّل، والمربي الكامل، الأنموذج الفريد الذي في نطقه الحق المبين ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ** ﴾ [النجم: ٣] وفي فعله السلوك القويم ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وفي خلقه الخلق العظيم: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤]، كان رسول الله ﷺ منارة هدى مضيئة تشعل للأمم دروبها، وطريق نجاة آمن لمن ألقى السمع وهو شهيد.

إن الدارس للسيرة النبوية يجد أنموذجاً فريداً كاملاً تتجسّد فيه مكارم الأخلاق هو رسول الله ﷺ الذي لم يعرف إلا كريماً ليّناً هيّناً بشوشاً لطيفاً[1]، يختار من الأمور أيسرها ما لم يكن حراماً، لا يغضب لنفسه قط[2] ليس فاحشاً

---

(١) روى الترمذي في الشمائل عن الحسين بن علي قال: «**سألت أبي عن سيرة رسول الله ﷺ في جلسائه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ**» انظر: الشمائل المحمدية ص (٢٩٠)، حديث (٣٥٢).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها**».

صحيح البخاري (٣/ ١٣٠٦)، حديث رقم (٣٣٦٧).



ولا متفحشاً، عفوّاً متسامحاً[1]، يعرّض في النصيحة كي لا يواجه أحداً بشيء يكرهه[2] حسن العشرة[3].

كان ﷺ رحيماً[4] بل كان رحمة عامة مطلقة، ويقصده الخلق أجمع يوم القيامة ليكون له المقام المحمود، وينتهي بشفاعته هول المحشر العظيم، ويبدأ

(١) روى الترمذي في الشمائل عن عائشة أنها قالت: «**لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح**». انظر: الشمائل المحمدية (ص ٢٨٧) حديث رقم (٣٤٨).

(٢) روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «**أنه كان عنده رجل به أثر صفرة قال: وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه. فلما قام؛ قال للقوم: لو قلتم له يدع هذه الصفرة**». انظر: الشمائل المحمدية ص(٢٨٦)، حديث رقم (٣٤٧).

(٣) من ذلك ما روى البخاري عن إبراهيم عن الأسود قال: «**سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**».

صحيح البخاري (١/ ٢٣٩)، حديث رقم (٦٤٤).

(٤) في حديث عند مسلم قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه عن الخدم: «**هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

صحيح مسلم (٣/ ١٢٨٢)، حديث رقم (١٦٦١).

القضاء بين العباد.

وهكذا «اجتمعت في رسول الله ﷺ خصال الخير من حياء وكرم وشجاعة ووفاء ونجدة، وشهامة، وحسن استقبال، وحلم، وإكرام يتيم، وحسن سريرة، وصدق حديث، وعفّة، وطهارة، وزكاء نفس، وسائر خصال الخير»[1].

وباختصار فإن كل خير نزل به القرآن تخلّق به رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم سئلت عائشة رضي الله عنها فقيل لها: «**يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن**»[2].

ويكفي رسول الله ﷺ شرفاً وفخراً أن مدح الخالق العظيم خلقه ﷺ في محكم تنزيله،فأنزل فيه آيات تتلى على مرّ الدهور والعصور، قال سبحانه: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤] وكفى بالله شهيداً.

وسوف يقتصر الكلام في الصفحات القادمة على خلق الرحمة عند نبي الرحمة ﷺ .

---

(١) فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين، مصطفى العدوي (١/ ٧).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥١٢- ٥١٣)، حديث رقم (٧٤٦).



(ثانياً) مفهوم الرحمة في لغة العرب:

الرحمة في اللغة: «الرقة والتعطف»[1]. وقال أبو البقاء: «الرحمة: حالة وجدانية تَعرِض غالباً لمن به رقّة القلب، وتكون مبدءاً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان»[2]. وقال الجرجاني الحنفي: «الرحمة: هي إرادة إيصال الخير»[3]، وقال المناوي: «...الرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركّز الله في طباع الناس الرّقة، وتفرّد بالإحسان»[4].

ونفهم مما تقدّم أن الرحمة شعور وسلوك، فالرحمة في الجزء الشعوري منها خلق فطري، وهي رقّة خلقها الله في قلب ابن آدم، والسلوك الذي ينتج عن تلك الرقّة من إحسان هو التراحم الذي جاء في الحديث، «**لن تؤمنوا حتى تراحموا**» والله أعلم.

والنصوص الشرعية تشهد لهذا الفهم، وهو أن الرحمة كلا الجزءين: الشعور والسلوك، فقد قال تعالى عن الجانب الفطري ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ**

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٢٣٠).

(٢) الكليات (٢/ ٣٧٦).

(٣) التعريفات (ص ١٤٦)، ر(٧١٨).

(٤) التعاريف للمناوي (ص ٣٦١).

لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة!**» وقال ﷺ عن الجانب السلوكي: «**لن تؤمنوا حتى تراحموا**»، وسمّى صلوات الله وسلامه عليه **تقبيل الصبيان رحمة**، وستأتي هذه الأحاديث بتمام متونها عما قريب.

ومن تأمّل نصوص السنّة القولية والفعلية التي ورد فيها وصف سلوك «ما» بأنه رحمة **نلاحظ دائماً أن في الموقف نوعاً من أنواع الضعف البشري أو الاحتياج يحرّك الرّقة التي في القلب**، ويثير الرحمة بجزأيْها الشعوري والعملي لدى الشخص الرحيم.

ونسجّل أيضاً من ملاحظة فعل الراحم في تلك المواقف أنه عبارة عن إحسان إما بالقول أو الفعل، أو العبرات.

أما ماهية الضعف الذي يثير الرحمة فأشهره: الصغر، والكبر، والمرض، والموت، والفاقة، وكلّ ذلك من أفراد الاحتياج والضعف العام الذي يعمّ وجوده لدى جميع الناس، وبالتالي يسهل على جميع الناس ملاحظته وإدراكه، وهو واضح في كثير من حوادث السيرة التي شرح رسول الله ﷺ سلوك «ما» بأنه رحمة، مثل تسميته تقبيل الصبيان رحمة، والبكاء على الميّت رحمة كما سيأتي.

ثمّ هناك نوع آخر من أنواع الضعف يتفاوت النّاس في إدراكه؛ لأنه

ضعف يخص فرداً أو طائفة،أو فئة بعينها وهو ما يمكن أن نسمّيه الحاجات الخاصّة، ولا يدركه إلا القليل من الناس الذين يحسنون الشعور بالآخرين، وكان صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى في فهم حاجات الخلق والتعامل مع كافة المخلوقات بالرحمة العامة المطلقة المنضبطة بالشرع، وسوف يتضح ذلك.

(ثالثاً) صلة الرحمة بالرسالة الخاتمة والنبي الخاتم:

سمّى الله تعالى نفسه باسم الرحمن، فقال: ﴿ **قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ** ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وخصّ الله تعالى اسميه الرحمن والرحيم بفاتحة كتابه، فقال سبحانه: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣]، كما خصّ اسمي الرحمن والرحيم بالبسملة التي تفتتح بها سور القرآن،فقال تعالى: ﴿ **بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ ووصف الله سبحانه نفسه لعباده فقال ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحج: ٦٥].

والرحمة المضافة إلى الله تعالى صفة من صفاته نؤمن بها على وجه يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١].

قال الفيروزآبادي: «الرحمة سبب واصل بين الله وبين عباده، بها أرسل

إليهم الرسل، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم»[1].

وبعث الرحمن الرحيم رسوله رحمة مهداة للعالمين، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت رحمة مهداة**»[2].

ووصف ﷻ رسوله في كتابه بأنه رحيم بالمؤمنين بل هو رؤوف بلغ منتهى الرحمة لأن «الرّأفة أخَصّ من الرّحمة وأَرَقّ»[3] قال تعالى: ﴿ **لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ** ﴾ [التوبة: ١٢٨].

و«**نبي الرحمة**» أحد أسماء النبي ﷺ التي ذكرها لنفسه، فقد روى مسلم في الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٢٣)، حديث رقم (٢٩٨١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٧): «رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح» ولم أقف على الحديث في النسخة المطبوعة من مسند البزّار.

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ١٧٢) المزهر في علوم اللغة والأدب للسيوطي (١/ ٣٣٧).

أسماء، فقال: أنا محمد، وأحمد والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، و«**نبي الرحمة**»(١).

وقد ناسب أن جعل الله الرسول الخاتم هو نبي الرحمة، أن جعل رسالته الخاتمة رسالة يسر ورحمة، وضع الله بها أحكاماً شداداً كان فرضها على من قبل، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومعالم الرحمة في شريعة النبي ﷺ أكثر من أن تحصر، منها: **في العبادات**: تخفيف الصلوات من خمسين إلى خمس، وقصر صلاة السفر، وتأخير صلاة الظهر إذا اشتد الحرّ والإبكار بها إذا اشتد البرد، **وفي المعاملات**:وضع الربا، وإنظار المدين المعسر، ومتعة الطلاق، **وفي الجنايات**: إقامة القصاص الذي فيه حياة الناس، وإسقاط الحدود بالشبهات...الخ.

وبإجمال: الإسلام **دين الرحمة**، ورسول الإسلام هو **نبي الرحمة** الذي أرسله **الرحمن الرحيم** رحمة **للعالمين**.

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٢٨) حديث رقم (٢٣٥٥).

(رابعاً) صلة الرحمة بأنواع من الأخلاق تتفرّع عنها استنباطاً من نصوص الكتاب والسنة:

تشير النصوص الشرعية إلى ارتباط الرحمة بكثير من مكارم الأخلاق ومنها:

أ/ ربط نبي الرحمة ﷺ **بين الرحمة والإيمان،** فقال ﷺ : «**لن تؤمنوا حتى تراحموا**»(1)، ومعلوم أن الإيمان أصل جامع للأخلاق الكريمة كلّها.

ب/ عندما ذكر الله ﷻ عباده ونسبهم إليه باسمه الرحمن وصفهم بأنهم **هينون لينون لطفاء، يقابلون إساءة الجهلاء بمعروف الرحماء،** وأنهم **ينتهجون منهجاً وسطاً** في الإنفاق الذي يصلح لأن يكون مثالاً يحتذيه المسلم في كلّ التصرفات، قال تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ**

(1) مجمع الزوائد (٨/ ١٨٦– ١٨٧) قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، ولم أقف على الحديث عند الطبراني في معاجمه، ولعلّه رواه في المعجم الكبير، ومعلوم أن المعجم الكبير المطبوع منه أجزاء ناقصة لم تصل إلينا، ومنها قسم من مسانيد العبادلة، والحديث رواه أبو موسى الأشعري، وهو عبد الله بن قيس،فيبدو أن الحديث في الجزء المفقود، والله أعلم.



يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٧] وهكذا نرى في الآيات السابقة ربطاً بين **الرحمة والسلم والمسالمة والوسطية.**

ج/ تدل النصوص على صلة وطيدة بين **الرحمة والإحسان،** فقد سمّى الله الغيث رحمة، والغيث إحسان من الله لخلقه،فقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ** ﴾ [الشورى: ٢٨] وقال أيضاً: ﴿ **فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾ [الروم: ٥٠]، وقد سبق أن ذكرنا في تعريف الرحمة أن الإحسان أحد جزأيها.

د/ تدل النصوص على أنه **بين الرحمة ولين القول** علاقة قويّة حيث جعل الله لين القول ناشئاً عن رحمة القلب، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هـ/ جعل الله تعالى **التواضع للوالدين من الرحمة،** فقال تعالى: ﴿ **وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا** ﴾ [الإسراء: ٢٤].

و/ تدل النصوص على صلة **بين الرحمة والتسامح أو العفو عند المقدرة،** وذلك في قوله ﷺ يوم فتح مكة، وهو في موقف المنتصر القادر على الانتقام: «**ما تقولون وما تظنون؟ قالوا، نقول: ابن أخ وابن عم حليم رحيم**» فقال

لهم رسول الله ﷺ: «... **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**». قال الراوي: فخرجوا كأنما نشروا من القبور، **فدخلوا في الإسلام..**»[1].

فقد فهم الناس أن العفو رحمة وحلم، فقالوا: «ابن أخ، وابن عم **حليم رحيم**» وأشار رسول الله ﷺ إلى أن المغفرة فعل الرحيم فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**» **والنتيجة الحتمية**: فخرجوا كأنما نشروا من القبور، **فدخلوا في الإسلام**.

ز/ وأخيراً فقد ربط العرب **بين الرحمة والكرم**، فقيل: «من أمارات الكرم الرحمة، ومن أمارات اللؤم القسوة»[2].

---

(١) باختصار عن دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٥٨)، وانظر: سنن البيهقي الكبرى (٩/ ١١٨).

(٢) محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٢٨١)، ولعله يشهد له ما روى الترمذي في الشمائل: «**عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه فقال النبي ﷺ : ما عندي شيء، ولكن ابتع علي فإذا جاءني شيء قضيته، فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته، فما كلفك الله ما لا تقدر عليه. فكره النبي ﷺ قول عمر، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم رسول الله ﷺ وعرف في وجهه البشر لقول الأنصاري، ثم قال: بهذا أمرت**» الشمائل المحمدية (ص ٢٩٤) حديث رقم (٣٥٦).



وهكذا نرى أن الرحمة سبب في كثير من الخير أوّله الإيمان والإحسان إلى الخلق، والسلم والمسالمة والوسطية، وبر الوالديْن، واللين ولطف القول، والعفو والحلم والتسامح، وآخره الكرم.

* * *

الفصل الثاني

معالم الرحمة في علاقة النبي ﷺ بأسرته

(**أولاً**) التعريف بأسرة النبي ﷺ.

(**ثانياً**) الأسرة هي المقياس الحقيقي الذي تظهر فيه الأخلاق.

(**ثالثاً**) توضيح العلاقة بين مفهومي الرحمة والحبّ، والحديث عنهما في حياة رسول الله ﷺ.

(**رابعاً**) نماذج مثالية من رحمة النبي ﷺ بأسرته.

(أولاً) التعريف بأسرة النبي ﷺ :

«أسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأَدْنَـوْنَ؛ لأنـه يتقـوَّى بهـم..»[1]، «وقـال أَبو جعْفَرٍ النَّحْاسُ: الأُسْرَةُ بالضّمّ أَقاربُ الرَّجلِ مِن قِبَلِ أَبِيه»[2].

وفي خصوص أسرة النبي ﷺ نستقي من السنّة الشريفة ما فسّر به رسول الله ﷺ عشيرته الأقربين، ففي صحيح مسلم «عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما

(١) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٠).

(٢) تاج العروس للزبيدي (١٠/ ٥١).



نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] **قام رسول الله ﷺ على الصفا، فقال: يا فاطمة بنت محمد،** يا صفية بنت عبد المطلب، **يا بني عبدالمطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم**»[1]، وفي بعض روايات الحديث زيادة.

وبهذا المعنى اللغوي للأسرة وما ورد من تفسيره ﷺ للعشيرة في حادثة الصفا تشمل أسرة النبي ﷺ عمومته ﷺ[2].

وعماته ﷺ[3]، وأخوته ﷺ[4] وزوجاته ﷺ[5]، وأولاده

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٩٢)، حديث رقم (٢٠٥)، وللحديث روايات فيها زيادة، انظر: حديث رقم (٢٠٦).

(٢) هم: «الحارث، والزبير، وأبو طالب، وحمزة، وأبو لهب، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس، وقثم، وحجل واسمه المغيرة». المدهش لابن الجوزي (ص٥٠).

(٣) وهن: «أم حكيم وهي البيضاء، وبرة، وعاتكة، وصفية، وأروى، وأميمة. وأسلمت صفية واختلف في عاتكة وأروى وأميمة». المدهش لابن الجوزي (ص٥٠).

(٤) بالرضاعة هم: عبد الله، وأنيسة، والشيماء بني الحارث بن عبد العزى من حليمة السعدية، ومسروح بن ثويبة، وحمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، وأبو سلمة المخزومي. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (ص ١٠٨ – ١١٠).

(٥) وهن: «خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم أم سلمة، ثم جويرية، ثم زينب بنت حجش، ثم زينب بنت خزيمة، ثم أم حبيبة، ثم صفية، ثم ميمونة، فماتت خديجة وزينب=

ﷺ[1]، وأحفاده ﷺ[2].

(ثانياً) الأسرة هي المقياس الحقيقي الذي تظهر فيه الأخلاق:

روى ابن حبّان في الصحيح أن النبي ﷺ قال «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي... الحديث**»[3].

قال بعض أهل العلم: «الأهلّ قد يخص الزوجة وأولادها وقد يطلق على جملة الأقارب فهم أوْلى من الأجانب»[4].

ويستوقفنا اهتمام نبي الرحمة ﷺ بالأهل سواء على المعنى الضيق الذي هو الزوجات، أو على المعنى الواسع الذين هم الأقارب ليجعله ﷺ أحد

=بنت خزيمة في حياته، وتوفي عن التسع البواق» رضي الله عنهن. المدهش لابن الجوزي (ص٥٠).

(١) هم: «القاسم، وعبد الله: وهو الطيب والطاهر، وإبراهيم، وفاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم» رضي الله عنهم. المدهش لابن الجوزي (ص٥٠).

(٢) من زينب: علي وأمامة، ومن رقية: عبد الله (مات صغيراً)، من فاطمة: الحسن والحسين ومحسن (مات صغيرا) أم كلثوم، زينب.

(٣) صحيح ابن حبان (٩/ ٤٨٤)، حديث رقم (٤١٧٧).

(٤) فيض القدير للمناوي (٣/ ٤٩٦).

المقاييس التي يتفاضل بها الناس، لنتفكّر في سبب ذلك؟

وبعبارة أكثر صراحة: **لماذا الأسرة؟**.

إن الإجابة تحتمل أكثر من معنى:

المعنى الأول: أن الأسرة هم الأفراد الذين يبعد معهم المرء عن التصنع والتكلف والمداراة، فتكون الأسرة هي **المقياس الصادق** من جهة.

المعنى الثاني: تعتبر الأسرة **المقياس الكامل** من حيث أنهم النفر الذين يقضي معهم الإنسان الوقت الأطول، فتمرّ عليه معهم الأحوال كلّها: الصحة والمرض، والغضب والرضا، والشدّة والفرج، والحزن والفرح. فمتى غلب على امرء حسن الخلق مع أهله في معظم أوقاته رغم طول المخالطة واختلاف الأحوال؛ كان خير الناس.

ورسول الله ﷺ كان خير الناس لأهله، فقد قال في الحديث الذي تقدّم: «**وأنا خيركم لأهلي**».

وقد ذكر العلماء صوراً من حسن معاشرته ﷺ لأهله – بمعنى زوجاته –، قال المناوي: «كان أحسن الناس عشرة لهم؛ حتى أنه كان يرسل بنات الأنصار لعائشة يلعبن معها، وكانت إذا وهبت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه...، ويقبّلها وهو صائم، وأراها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه،

وسابقها في السفر مرتين فسبقها وسبقته، ثم قال: هذه بتلك، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرّة، وفي الصحيح أن نساءه كنّ يراجعنه الحديث، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل، ودفعته إحداهن في صدره فزجرتها أمّها، فقال لها: دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك... وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكماً....

كان يعتني بهن، ويهتم بتفقد أحوالهن، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فدنا منهن واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلى صاحبة النوبة، وكان إذا شربت عائشة من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب، وإذا تعرّقت عرقاً - وهو العظم الذي عليه اللحم - أخذه فوضع فمه على موضع فمها... ولما أراد أن يحمل صفية بنت حيي على بعير؛ نصب لها فخذه لتضع رجلها عليه، فلوت ساقها عليه»[1].

وما ذكره المناوي رحمه الله في النَّص السابق مأخوذ من أحاديث كثيرة مذكورة في مواضعها من كتب الحديث.

وما يهمّني هنا أن أنبّه إلى أن حسن العشرة بصوره المختلفة التي ذكر المناوي بعضها قد يصدر عن الحبّ أو الواجب أو التقوى، وقد يصدر عن

(١) انظر: فيض القدير (٣/ ٤٩٦).

الرحمة، لذلك كان علينا إطالة الفكر في محاولة للتفريق بين ما كان منبعه الحبّ، وبين ما كان منبعه الرحمة من مواقف.

أما ما يصدر عن الواجب أو التقوى من السلوكيات فهو في حقيقته امتثال للأمر الإلهي، ومرجعه إلى العقل الذي عليه مدار التكليف، وهذا النوع من السلوك يسهل تمييزه عادة إذ هو مرتبط بالأمر أو النهي.

(ثالثاً) توضيح العلاقة بين مفهومي الرحمة والحبّ، والحديث عنهما في حياة رسول الله ﷺ:

فيما مضى عرفنا معنى الرّحمة، وأنها رقّة في القلب تقترن بسلوك هو الإنعام على المحتاج إليه، أو تقترن بما يظهر على المرء من مظاهر الحنان نحو العبرات على سبيل المثال.

أمّا الحب فهو: «نَقِيضُ البُغْضِ» والحُبّ: «الوِدَادُ»[1] و«المحبة: الميل إلى الشيء السار»[2]، وقيل: المحبة ميل النفوس إلى ما تراه أو تظنه خيراً، وذلك ضربان: أحدهما: طبيعي... والثاني: اختياري، وذلك يختص به الإنسان،

(١) تاج العروس للزبيدي (٢/ ٢١٢).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ١٥١).

والاختياري أربعة أضرب: للشهوة، وللمنفعة، ولهما معاً، وللفضيلة كمحبة المتعلم للعالم، وهذا الضرب الأخير هو المحبّة الباقية على مرور الأوقات،أما الثلاثة الأولى فقد تطول مدتها وتقصر بحسب دوام أسبابها[1].

وبعبارة جامعة عرّف الفلاسفة الحبّ بأنه: «ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابة أو النافعة»[2].

فالحبّ من مجموع النصوص هو ميل القلب لما **يسرّ**، أو **لما ينفع**، أو **ميل جُبلت عليه** النفس وأُودع فيها، ثم يظهر السلوك الناشئ عنه في صورة التوادد الذي هو «التواصل الجالب للمحبة،كالتزاور والتهادي»[3].

والميل أيّاً كان سببه **فيه معنى الاختصاص**، فيكون الحبّ **مخصوصاً بمعيَّن** من الأشخاص أو الأشياء أو المعاني المجرّدة، بشرط أن **يقترن بجلب السعادة والسرور والنفع المرتبط بالمحبوب.**

ومن التفكّر في تعريف الحبّ والرحمة تظهر الفروق التالية في مفهوم اللفظين:

---

(١) بتصرف عن: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص(٢٥٢ – ٢٥٣).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ١٥١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٣٩).

الفرق الأول: الرحمة عامة والحبّ خاص، لأن الخصوصية تعني الاختيار من أفراد العام، والرحمة بمعنى الرقّة التي في القلب؛ تكون الخصوصية فيها ممتنعة فلا يمكن التحكم في توجيه الرّقة نحو مخصوص من القرابة والأصهار أو غيرهم وهذا الفرق مذكور صراحة في الأحاديث: فقد قال رسول الله ﷺ عن الرحمة: «**لن تؤمنوا حتى تراحموا. قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة النّاس رحمة العامة**»[1].

فالرحمة **تعمّ الخلق أجمع**: مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، صغيرهم وكبيرهم،حيّهم وميّتهم، بل هي عامة تعمّ المخلوقات من إنس وجنّ وحيوان ونبات بل قد تبلغ الرحمة الجماد.

أما الحب **ففيه اختصاص** – كما تقدّم – فهو لمخصوصين مهما كان سبب ذلك الاختصاص، لذا صرّح النبي ﷺ بحبه لأشخاص معينين – كما سيأتي – واعتذر النبي ﷺ عن حبه لبعض نسائه فقال: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»[2].

الفرق الثاني: الذي نستخرجه من تعريفي الرحمة والحب هو:

---

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) رواه الحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين (٢/ ٢٠٤)، حديث رقم (٢٧٦١).

أن **الرحمة مطلقة حيث تكون في كلّ الأحوال غير مقترنة بالمسرّة**، ولا بما يناله المحبّ من محبوبه من وجوه النفع والرضا،فهي رقّة جُبِل عليها القلب يثيرها عادة ضعف في الآخر، وينتج عنها سلوك هو الإحسان بأحد صوره.

وإذا عرفنا أن الضعف لازم في المخلوقات كلّها مهما بدا عكس ذلك في بعض الأوقات، كانت الرحمة هي رؤية الجانب الضعيف في المخلوق ورحمته لأجله بوجه من وجوه الإحسان أو بما يَظهَر على الراحم من العبرات ونحوها خاصّة عند العجز، ولإدراكه صلوات الله وسلامه عليه أن الضعف أحد لوازم المخلوق مهما غاب إدراكه؛ فقد كان ﷺ رحمة للناس كافة بل كان ﷺ رحمة للعالمين.

وذلك **بخلاف الحبّ الذي يرتبط كما تقدّم بالمسرّة أو الشعور بالرضا أو النفع**، ويكون ميل إلى معيّنين يمكنهم جلب هذه المسرّة بوجه من الوجوه.

والرحمة والحبّ كلاهما وُجِدا بصورتها الكاملة في حياة رسول الله ﷺ :

أما **الرحمة**، فسنذكر بعض صورها المتصلة بالأسرة قريباً.

وأمّا الحبّ: **فقد كان عند رسول الله ﷺ بصورته الكليّة المطلقة لله سبحانه وتعالى وحده، فكان صلوات الله وسلامه عليه يقوم الليل حتى تتورم قدماه**[1] **وهو الذي**

---

(١) عن المغيرة رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. صحيح البخاري (٤/ ١٨٣٠)، حديث=



غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ويقول عن الصلاة: «يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها»[1]**، وخيّر ﷺ بين مفاتيح خزائن الدنيا ثم الجنّة وبين لقاء ربه، فاختار لقاء الله**[2]**، وصرّح رسول الله ﷺ بهذا الحبّ في أعلى مقاماته، وهي الخلّة، فقال في حديث طويل: «... ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودته... الحديث»**[3].

ومع ذلك فقد صرّح ﷺ بحبّه لنفر من أسرته وغيرهم، فصرّح بحبّه للسيدة خديجة رضي الله عنها يوم قال للسيدة عائشة رضي الله عنها وقد غارت من إكثاره ذكر خديجة رضي الله عنها: **«إني قد رُزقت حبّها»**[4].

وصرّح بحبّه لعائشة رضي الله عنها واشتهر ذلك بين الصحابة **حتى قال أنس بن**

=رقم (٤٥٥٦).

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٦)، حديث رقم (٤٩٨٥)، والحديث سكت عنه المنذري. انظر: عون المعبود (١٣/ ٢٢٥).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٣٤٧)، حديث رقم (٨٧٢)، رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات؛ إلا أن الإسناد الأول عن عبيد بن حنين عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة والثاني عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة. مجمع الزوائد (٩/ ٢٤).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٣٣٧)، حديث رقم (٣٤٥٤).

(٤) صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٨)، حديث رقم (٢٤٣٥).

مالك: «أول حب كان في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها»[1] وفي حديث عند البخاري «**وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخّرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة...**»[2].

و«**كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها...**»[3].

وصرّح رسول الله ﷺ بحبّه لابنته فاطمة رضي الله عنها[4] «**وكانت إذا دخلت عليه؛ رحّب بها، وقام إليها، فأخذ بيدها فقبّلها، وأجلسها في مجلسه**»[5].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٤٤).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٩١١)، حديث رقم (٢٤٤٢).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٦١٧)، حديث رقم (٤١٨٥).

(٤) روى الحاكم «عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «**كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال عليّ**» أخرجه الحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٦٨)، حديث رقم (٤٧٣٥).

(٥) أخرجه الحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٦٧)، حديث رقم (٤٧٣٢).



وصرّح بحبّه لحفيديْه **الحسن والحسين**[1]، ومولاه زيد **بن حارثة** وابنه أسامة **الحِبّ بنُ الحِبّ**[2].

ولا يتوهّم وجود تعارض بين قوله ﷺ : «**لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر**» وبين إعلانه ﷺ حبّه لنفر من أسرته -كما تقدّم- من جهة أن

---

(١) ورد في الصحيح: «**قال النبي ﷺ: هما ريحانتاي من الدنيا**» صحيح البخاري (٣/ ١٣٧١)،حديث رقم (٣٥٤٣).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما حدث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول: «**اللهم أحبهما فإني أحبهما**» صحيح البخاري (٣/ ١٣٦٦)، حديث رقم (٣٥٢٨).

وروى ابن حبّان رحمه الله عن: «**عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبى بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما، فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، فرفعتهما**». صحيح ابن حبان (١٣/ ٤٠٣)، (٦٠٣٩).

وقال العراقي في طرح التثريب شرح التقريب (٣/ ١٨٥): «رواه أصحاب السنن وابن حبان، وقال الترمذي حسن». قال الشرّاح في معنى يعثران: «والمعنى أنهما يسقطان على الأرض لصغرهما وقلة قوتهما».. وفي قوله: «**فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر**» قالوا: «**أي: عنهما؛ لتأثير الرحمة والرقة في قلبي**» انظر: مرقاة المفاتيح للقاري (١١/ ٣١٦).

(٢) في البخاري حديث قال فيه عن زيد وأسامة: «**وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده**» صحيح البخاري (٣/ ١٣٦٥)، حديث رقم (٣٥٢٤).

حبّه لهم حب تابع لحبّ الله منضبط بشرعه محكوم به، ثم هو حبّ لا يشغله عن حب الله، ولا يبلغ حبهم عشر حبه لله تعالى ولا أدنى من ذلك، وكأن الحب الذي لله والذي لغيره مشترك لفظي في حياة رسول الله ﷺ فالأول حب مطلق كلّي، والثاني حب مقيّد محدود[1].

وهذا معنى قولنا: «إن الرحمة والحبّ وُجِدا بصورتها الكاملة في حياة رسول الله ﷺ» فحبّ النبي ﷺ لأسرته ورحمته بها كانا معصومين عن مخالفة الشّرع منضبطان بضوابطه.

وذلك لأن الحبّ بمعنى الميل إذا استقلّ عن ضابط يعصمه من الحيف والجور؛ صار منقصة؛ لأنه ميل إلى ما يسرّ و«ما يسرّ» تختلف في تفسيره الأذواق

---

(١) قال النووي في شرح حديث «**ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا**»: ومعنى الحديث: أن حب الله تعالى لم يبق في قلبه موضعاً لغيره.قال القاضي عياض: وجاء في أحاديث أنه ﷺ قال: ألا وأنا حبيب الله، فاختلف المتكلمون: هل المحبة أرفع من الخلة؟ أم الخلة أرفع؟ أم هما سواء؟ فقالت طائفة: هما بمعنى فلا يكون الحبيب إلا خليلاً، ولا يكون الخليل إلا حبيباً، وقيل: الحبيب أرفع لأنها صفة نبينا ﷺ وقيل: الخليل أرفع. وقد ثبتت خلة نبينا ﷺ لله تعالى بهذا الحديث، ونفى أن يكون له خليل غيره، وأثبت محبته لخديجة وعائشة وأبيها، وأسامة وأبيه، وفاطمة وابنيها، وغيرهم.شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٥٠- ١٥١).



والأمزجة، فإن وافق «ما يسرّ» الشّرع صار ممدوحاً، وإلا فهو مذموم، لذلك قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**»[1] ولذا ضبط رسول الله حبّه لزوجاته بميزان الشرع في المعاملة، وكان يقول – كما تقدّم –: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**».

فحبّه ﷺ معصوم لا يقوده إلى ظلم أو عدوان بخلاف غيره من الناس، بل إن نساءه – رضي الله عنهن وأرضاهن – ربما خالطت الغيرة حبهنّ لرسول الله ﷺ وهو أمر فُطرت عليه النساء عامة خاصة الضرائر منهن، فكيف إذا كان الزوج هو رسول الله ﷺ ؟!! «**فعن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه**

(١) رواه الطوسي بإسناده في الأربعين (ص ٥١) حديث(٩)، وذكره النووي في الأربعين النووية من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه. شرح الأربعين النووية ص١٩٣. وذكر متنه ابن حجر من حديث أبي هريرة وقال: «أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات...» انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٨٩). وقد خالف في تصحيحه ابن رجب في جامع العلوم والحكم وأطال في الكلام عليه. راجع: جامع العلوم والحكم (ص ٣٣٨-٣٣٩).

حفصة فسلم عليها،ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا؛ جعلت رجليها بين الإذخر، وتقول: يا رب سلط علي عقرباً أو حيةً تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً»(١).

وكما أن الحب عند رسول الله ﷺ حب معصوم، فكذلك الرحمة عند نبي الرحمة، منضبطة بضابط الشرع، وبرهان ذلك أن رسول الله ﷺ الرحمة المهداة الذي قال عنه تعالى حاكياً مقدار أسفه على تكذيب قومه: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف: ٦]، لم تمنعه رحمته ﷺ من جهاد الكفّار من قومه وغيرهم،كذا لم يمنعه قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨] من إقامة الحدود امتثالاً لأمر الله تعالى، لأن رحمته مدركة؛ لأن أوامر الله تعالى كلّها رحمة، ولذلك في القصاص حياة، وفي الجهاد وإقامة الحدود إنقاذ للبشرية من فوضى عارمة، فهذه هي الرحمة المنضبطة بضابط الشرع: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا**

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٩٩٩)، حديث رقم (٤٩١٣) قال ابن العطار في شرح الأربعين: وهذا كقوله تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل»[1].

يبقى أمر أخير **يختصّ اشتراطه بالحبّ** ليكون بعيداً عن النقص والمذمّة، وهو أن تقترن به الرحمة،بل وتغلب عليه.

فالرحمة في أخلاق رسول الله ﷺ فوق الحب، والعربي يقرأ في أسلوب الحصر في قوله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» أن منبع تصرّفاته ﷺ كلّها الرحمة، وهذا ما يقرؤه المنصفون في أفعاله ﷺ.

أما الرحمة فلا بأس أن تخلو عن حبّ، بل إذا خلت عن الحبّ تكون عين الكمال، وهذا ما كان عليه ﷺ حيث كان رحمة عامة شملت الخلق أجمع حتى الجماد،فلما اتخذ ﷺ منبراً، وكان قبله يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة؛قال جابر بن عبد الله: «**فلما كان يوم الجمعة؛ دفع إلى المنبر،فصاحت النخلة صياح الصبي،ثم نزل النبي ﷺ فضمّها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن،قال:كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها**»[2].

وأكد القرآن على **أهمية الجمع بين الحب والرحمة بالنسبة للأسرة**، فقد

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٤١٤)، حديث رقم (٢٣٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٣١٤)، حديث رقم (٣٣٩١).

ذكرهما الله تعالى معاً في بيان ما جعله بين الزوجين، فقال سبحانه: ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] قال الرازي: «... وقال بعضهم: محبةٌ: حالة حاجة نفسه، ورحمة: حالة حاجة صاحبه إليه... وذكر ههنا أمرين: أحدهما يفضي إلى الآخر، فالمودة تكون أولاً، ثم إنها تفضي إلى الرحمة، ولهذا فإن الزوجة قد تخرج عن محل الشهوة بكبر أو مرض، ويبقى قيام الزوج بها، وبالعكس...»[1].

والخلاصة في العلاقة بين الرحمة والحب ووجودهما في حياة النبي ﷺ:

١ – أن الرحمة عامة مطلقة والحب مخصوص.

٢ – أن رسول الله ﷺ رحم الخلق أجمع وأحبّ نفراً من أسرته وغيرهم؛ لكن الله اتخذه خليلاً؛ فكان حبّه ﷺ لله حبّاً كلّياً كاملاً أرفع من حبّه لما سواه.

٣ – أن الرحمة والحب في صورتها الكاملة يجتمعان في اشتراط الضابط وهو موافقة الشرع، ويفترقان في أن الحبّ لا يكون ممدوحاً إلا إذا خالطته رحمة أو غلبت عليه فكانت فوقه.

وهذا الحب الممدوح – دون مرتبة الخلة – منحه رسول الله ﷺ لأسرته

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٥/ ٩٧).



وصرّح به في حقّ نفر منهم، ولكن حديثنا الآتي يختص بالرحمة، **وضابطنا في اختيار المواقف التي حكاها المحدثون ومصنفو السيرة مع أفراد أسرته هو ملاحظة جوانب الضعف التي أثارت رحمة نبي الرحمة ﷺ** .

(رابعاً) نماذج مثالية من رحمة النبي ﷺ بأسرته:

تمر الليالي ذوات العدد دون أن توقد في بيت رسول الله ﷺ نار.. ويواصل أهل بيت النبوة الصيام لأنهم لا يجدون ما يفطرون به.. ويؤثّر الحصير في جنبه ﷺ لأنه لا يجد فراشاً وثيراً، فيبكي لرؤية أثر الحصير رجل قوي صاحب فتوحات هو عمر بن الخطّاب رضي الله عنه[1].

في تلك الأيام كانت الدعوة على أشدّها،جلّها عبارة عن مواجهة تحدّيات من كل شكل ولون.. وكان الصبر والصلاة والجهاد والتضحية هي الزاد الذي

---

(١) قال عمر رضي الله عنه في حديث عند البخاري: «**فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من أُدم حشوها ليف...**» الحديث. انظر: صحيح البخاري (٢/ ٨٧١ - ٨٧٣)، حديث رقم (٢٣٣٦). قال ابن الأثير: «رمال حصير» الرمال: ما رمل أي: نسج... والمراد أنه: كان السرير قد نسج وجهه بالسعف، ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير». النهاية في غريب الأثر (٢/ ٢٦٥).

يستعان به لتحمّل الأذى بشتى صوره حتى يبلغ الدين الآفاق..

لقد فقد النبي ﷺ أصحابه وأهل بيته واحداً بعد واحد،زوجته الحبيبة بعد الحصار في مكة، و حارثة ابن عمّه يوم بدر، و حمزة عمّه في أحد، و جعفر بن أبي طالب وزيد في مؤتة،الأول ابن عمّه والثاني مولاه وحِبّه، ولأمر أراده الله مات في حياة رسول الله ﷺ بناته الثلاثة: زينب ورقية وأم كلثوم، وجميع أبنائه وغيرهم من أحفاده..

لم تكن الحياة سهلة، ولم يكن للتضحية حدود، ومع ذلك ورغم شظف العيش، وضراوة الحياة، وعظم المسؤولية، وعبء الدعوة؛ كانت بيوت رسول الله ﷺ دافئة، يملؤها البشر، وتعمّها السكينة والرضا، ويغمرها نور النبوة، **تَشيع الرحمة في أجوائها**، وتكسو السعادة جدرانها وأركانها.

واليوم، وقد كثر المال، وفاض الزاد، وتنعّم الحال، وعلت المساكن، وأُترفت الفُرُش؛ وكثر الخدم، لا نرى إلاّ بيوتاً يفرّ منها الأزواج لا يفرّون إليها،بيوتاً أخوف ما تخاف الزوجات فيها هم أزواجهن، لقد كثر الطلاق، وشوهدت النساء أمام المحاكم في قضايا خلع، والأكثر من ذلك لا طلاق ولا خلع، ولكن بيوت قائمة على فوّهة بركان، معركة لا هدنة فيها ترتفع فيها الأصوات، ويتنازع الزوجان فيها الحقوق والواجبات، لقد أصبحت المودّة في

عرف العصر عدد من المصالح يتبادلها الطرفان،أمّا الرحمة فقد صارت حروفاً منسيّة لم يعد لها وجود في حياتنا.

والنتيجة المرّة: ليس أشقى من طفل غير آمن يكبر حيث لا دفء ولا سكينة ولا بشر ولا اطمئنان ولا تضحية ولا حبّ، وأخيراً لا سعادة، والسبب: الرحمة الغائبة!!

ترى ماذا يمكن أن ينتظر الوالدان بل المجتمع والوطن ثمّ العالم من هذا الطفل، طفل اليوم ورجل الغد؟!

فيما يلي أجمع مشاهد متفرقة تحكي رحمة نبي الرحمة ﷺ بأفراد أسرته، لعلّنا نوقظ بها الرحمة النائمة داخلنا، ونعيدها إلى بيوتنا من جديد!!.

رحمة النبي ﷺ بعمّه (أبي طالب):

عمّ الرجل صنو أبيه، فكيف إذا ربّاه عمّه يتيماً وكفله!، وكيف إذا عاش حياته ينصره ومات وهو ينصره! لقد كفل أبو طالب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، وعاش ينصره ويحميه إلى أن مات، وقد بادله النبي ﷺ حباً بحب، ورحمة برحمة حتى قبل البعثة، ففي السيرة النبوية لابن هشام: «**أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه – وكان من أيسر بني هاشم –: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير**

العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكلهما عنه. فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه. فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما....»[1].

وتبلغ رحمة النبي ﷺ بعمّه أوجها في أكثر اللحظات ضعفاً حين يضعف جسمه، وتخور قواه ويدنو أجله، ففي أحد المرّات عقب مساومة حدثت من قريش حين اجتمع أشرافهم مع رسول الله ﷺ يكلموه، فطالبهم ﷺ بكلمة التوحيد، فما كان ردّهم إلا أن «صفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرك لعجب!...» قال ابن إسحاق: «**فلما رأى رسول الله ﷺ** تكذيبهم **بالحق قال: لقد دعوت قومي إلى أمر ما اشتططت**[2] **في القول. فقال عمه: أجل لم تشتط. ورجا النبي ﷺ بهذه القول هداية أبي طالب، فأخذ يحدّثه «يا عمّ، قل لا إله إلا الله أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة» قال: والله يا ابن أخي، لولا أن**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٨٥)، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك. انظر المستدرك (٣/ ٦٦٦) حديث رقم (٦٤٦٣).

(٢) الشطط: الجور. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/ ٢١٨).

يكون سبة عليك وعلى أهل بيتك من بعدي يرون أني قلتها جزعاً حين نزل بي الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرّك بها، ولما ثقل أبو طالب رئي يحرك شفتيه، فأصغى إليه العباس ليستمع قوله، فرفع العباس عنه فقال: يا رسول الله، قد والله قال الكلمة التي سألته. فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع»[1].

وفي بعض الروايات في صحيح البخاري: «**قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى فيه: «ما كان للنبي» الآية**»[2].

والشاهد هنا حرص نبي الرحمة ﷺ على هداية عمّه، ثم وعده إياه بالاستغفار له ما لم ينه، رحمة به عن أن يموت على غير الإسلام. تلك الرحمة التي غمرت قلب نبي الرحمة ﷺ بعمّه في لحظاته الأخيرة في الحياة.

رحمة النبي ﷺ بأمّه (آمنة بنت وهب):

كان آخر لقاء بين سيدنا محمد ﷺ وأمه وهو طفل له من العمر ست سنوات.. ومضت السنون، سبعٌ وخمسون عاماً عظيمة بما فيها من أحداث

---

(١) سيرة ابن إسحاق (٤/ ٢٢٢ -٢٢٣)، حديث رقم (٣٢٨).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٤٥٧)، حديث رقم (١٢٩٤)، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

عظام، ورسالة غيّرت العالم، عداء وجهاد، هجرة ودولـة، تشريعات، غـزوات وانتصارات، فتح ووفود، ولم ينس القلب الرحيم أمّه التي رحلت عنه حاملاً في ذاكرته صورة وجهها الصبوح، ودفء صدرها الحنون.

في صحيح ابن حبان «**عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر، فأمرنا، فجلسنا،ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها، فجلس إليه فناجاه طويلا، ثم رجع رسول الله ﷺ باكياً، فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم أقبل علينا، فتلقاه عمر - رضوان الله عليه - وقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله، فقد أبكيتنا وأفزعتنا؟ فأخذ بيد عمر ثم أقبل علينا، فقال: أفزعكم بكائي؟ قلنا: نعم. فقال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي قبر آمنة بنت وهب، وإني سألت ربي الاستغفار لها فلم يأذن لي، فنزل علي: «﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾** [التوبة: ١١٣]**، فأخذني ما يأخذ الولد للوالد من الرقة، فذلك الذي أبكاني، ألا وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة**»[1].

رحمة النبي ﷺ بمن ربّته (فاطمة بنت أسد):

فاطمة بنت أسد هي أم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسمّاها رسول

(١) صحيح ابن حبان (٣/ ٢٦١)، حديث رقم (٩٨١).

الله ﷺ «**أمي بعد أمي**» لأنه تربّى في بيتها في كفالة عمّه أبي طالب، وإليكم أحد مشاهد رحمة النبي ﷺ بها، في كل حرف منه ما يفصح عن الرحمة التي غلّفت قلب رسول الله ﷺ، تلك الرحمة المقترنة بالحب والوفاء.

«عن أنس بن مالك: قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيّباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور؛ سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه، فألبسها إياه، وكفّنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللّحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ؛ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، فقال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعا، وأدخلوها اللحد هو، والعباس، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم»[1].

---

(١) رواه الطبراني. المعجم الكبير (٢٤/ ٣٥١) حديث رقم (٨٧١)، المعجم الأوسط=

رحمة نبي الرحمة محمد ﷺ بأولاده:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون صبيانكم فما نقبّلهم! فقال النبي ﷺ : أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة!**»[1].

وروى البخاري «**عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين**[2]**، وكان ظئراً**[3] **لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبّله وشمه.**

ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى. فقال ﷺ : إن العين تدمع والقلب

=(١/ ٦٧)، حديث رقم (١٨٩).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٦ -٢٥٧): «فيه روح بن صلاح وثّقه ابن حبّان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣٥)، حديث رقم (٥٦٥٢).

(٢) «هو الحداد، ويطلق على كل صانع» فتح الباري لابن حجر(٣/ ١٧٣).

(٣) أي: «مرضعاً، وأطلق عليه ذلك؛ لأنه كان زوج المرضعه». فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٧٣).

يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

فالرفع والضمّ والتقبيل والشمّ رسائل رحمة وحنان يبعثها الأب الرحيم لأبنائه في معان يفهمها الشعور والإحساس، وهذا كان في ناحية المدينة كما في بعض الروايات[2]، وهو ما يكون الوصول إليه راكباً، فنبي الرحمة ﷺ صاحب الرسالة والمهمّات يتكبّد الركوب إلى ابنه الرضيع في ناحية المدينة لمجرّد تقبيله وضمّه، فيا لها من غاية نبيلة بذل لها نبي الرحمة وقته وجهده، إنها الرحمة المهداة التي متى اقتدى بها الآباء ينشأ الأولاد أسوياء.

ثم في قوله ﷺ : «**إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**» الرحمة المنضبطة بضابط الشرع، المعصومة من الزلل أو الخطأ.

رحمة النبي ﷺ ببناته (فاطمة وزينب رضي الله عنهما):

كان لرسول الله أربع بنات، ثلاثة منهن انتقلن في حياته ﷺ.

أما صغرى بنات النبي ﷺ فهي فاطمة الزهراء، وقد عاشت الزهراء رضي الله عنها مع أبيها في منزله بمكة حتى الهجرة، ومكثت بعد الهجرة في بيت أبيها حتى

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٣٩)، حديث رقم (١٢٤١).

(٢) انظر: الأدب المفرد للبخاري (ص١٣٧)، حديث رقم (٣٧٦).

تزوجت،فلمّا تزوّجت سكنت جوار بيت النبي ﷺ فكانت بذلك قريبة منه في كلّ مراحل حياتها، وقد عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر.

ولقد استأثرت فاطمة رضي الله عنها بخصوصية في قلب أبيها، وقد تقدّمت الإشارة إلى محبّته ﷺ لها، وسيرتها مليئة بالمواقف التي تشهد لرسول الله ﷺ بحبه ورحمته ببناته.

وأنتقي من المشاهد العديدة مشهد رحمة يحمل رسالة للآباء، وهي الرحمة في الإحساس بالابن أو الابنة، وتقدير مشاعرهم وإدراك همومهم، حيث إن ملاحظة شعور الآخرين والاهتمام بهم أمر لا يحسنه كثير من الناس حتى الوالدان، ونبي الرحمة ﷺ رسول يحمل من عبء الرسالة ما تنوء الجبال عن حمله، ويشغله همّ الدعوة إلى أبعد حدّ، ومع ذلك لم يمنعه ذلك الانشغال عن إحساسه بشعور ابنته، وأن يكون ما يشغل بالها محلّ اهتمامه.

(الموقف الأول) عن فاطمة رضي الله عنها قالت: «**اجتمع مشركو قريش في الحجر، فقال رسول الله: يا بنية: اسكني، ثم خرج، فدخل عليهم المسجد، فرفعوا رؤوسهم، ثم نكسوا، فأخذ قبضة من تراب، فرمى بها نحوهم، ثم قال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر**»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٧٠)، حديث رقم (٤٧٤٢).

إن قوله ﷺ : «**يا بنية: اسكني**» قولاً حوى ثلاث كلمات تعلّمنا حروفها كيف أن نبي الرحمة ﷺ كان يهمّه أن يبعد عن ابنته ما يمكن أن يصيبها من هلع أو ذعر حتى تكون مطمئنة آمنة.

(الموقف الثاني) يحكي اهتمام رسول الله ﷺ المستمر بمشاعر ابنته وإن كبرت وتزوجت:

لّما أراد عليّ رضي الله عنه الزواج على الزهراء رضي الله عنها وذلك أمر شائع ومقبول عند العرب وفي الإسلام؛ «**خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمّها الحارث بن هشام، فاستشار النبي ﷺ فقال: أعن حسبها تسألني؟ قال علي: قد أعلم ما حسبها ولكن أتأمرني بها؟ فقال: لا، فاطمة مضغة مني ولا أحسب إلا وأنها تحزن أو تجزع. فقال عليّ: لا آتي شيئا تكرهه**»[1].

فالحديث واضح في أن رحمة النبي ﷺ بابنته من أن تحزن أو تجزع لزواج عليّ كان وراء رفضه هذا الزواج.

(الموقف الثالث) فيه الرحمة المنضبطة بضابط الشرع الذي يدعو المسلم إلى التخلي عن زهرة الحياة الدنيا وإيثار الآخرة، فقد حدّث عليّ: «**أن فاطمة** عليها السلام **شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ سبيّ، فانطلقت، فلم تجده،**

(١) أخرجه الحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٧٣)، حديث رقم (٤٧٤٩).

فوجدت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني: إذا أخذتما مضاجعكما، تكبران أربعاً وثلاثين، وتسبّحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»[(١)].

ومعلوم أننا لسنا نذكر القصّة هنا لأجل بيان فضل الذكر أو زهد أهل بيت النبوة، وإنما في الحديث مشهد رحمة من نبي الرحمة ﷺ حين بلغته حاجة ابنته، فبادر بالذهاب إليها، ولم ينتظر حتى تأتيه ثانية سائلة عن الإجابة، فلما دخل بيت فاطمة رضي الله عنها وهمَّ عليٌّ بالقيام أدباً؛ أمره ﷺ أن يبقى في مكانه وقعد ﷺ بين الزوجيْن اليافعين على فراشهما، تلمس قدمه الشريفة صدر عليّ رضي الله عنه حتى وجد عليّ برد قدميه على صدره على وفق ما تنبّهت إليه الدراسات الحديثة من أهميّة التقارب الجسدي بين المتخاطبيْن، ثمّ أرشدهما الأب الرسول برحمته المعصومة بما هو خير لهما من خادم.

(الموقف الرابع) تظهر فيه الرحمة في موقف شدّة، ففي حياة المرء ألوان من الحوادث منها: المرض، روى الطحاوي بإسناده أن عمران بن حصين قال:

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٥٨)، حديث رقم (٣٥٠٢).



«خرجت يوماً فإذا أنا برسول الله عليه السلام فقال لي: يا عمران، إن فاطمة مريضة، فهل لك أن تعودها؟ قال، قلت: فداك أبي وأمي، وأي شرف أشرف من هذا!! قال: انطلق.

فانطلق رسول الله عليه السلام وانطلقت معه حتى أتى الباب فقال: السلام عليكم أدخل؟ فقالت: وعليكم، ادخل. فقال رسول الله ﷺ : أنا ومن معي؟ قالت: والذي بعثك بالحق ما عليّ إلا هذه العباءة. قال: ومع رسول الله ﷺ ملاءة خلقة، فرمى بها إليها، فقال لها: شدّيها على رأسك. ففعلت، ثم قالت: ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ودخلت معه، فقعد عند رأسها، وقعدت قريباً منه، فقال: أي بنية، كيف تجدينك؟ قالت: والله يا رسول الله إني لوجعة، وإنه ليزيدني وجعاً إلى وجعي أنه ليس عندي ما آكل. فبكى رسول الله ﷺ وبكت فاطمة عليها السلام وبكيت معهما. فقال لها: أي بنية، تصبري مرتين أو ثلاثاً،ثم قال لها: أي بنية، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين!...»[1].

فهذا واحد من مواقف الرحمة الأبوية الحانية عند ضعف الابنة ومرضها، تجلّت فيه رحمة نبي الرحمة ﷺ بدءاً من **عزمه ﷺ على عيادتها، ثمّ جلوسه عند**

---

(١) شرح مشكل الآثار (١/ ١٤١ – ١٤٢) والحديث رواه الحاكم مختصراً وصحّحه.انظر: المستدرك (٣/ ١٧٠)، حديث رقم(٤٧٤٠).

رأسها، ثم **سؤاله عن حالها**، ثـمّ **بكائـه** – صلوات الله وسلامه عليه – رأفة بها، ولكنّها تظلّ **الرحمة النبوية المعصومة**، حيث يدعوها ﷺ إلى الصبر مرّتين أو ثلاثة، ويختم **بإخبارها بما يعينها على الصبر ويسرّ خاطرها** من أنها سيدة **نساء العالمين**.

(الموقف الخامس) من رحمة النبي ﷺ بابنته الزهراء رضي الله عنها أنه أشفق عليها من فقدها له، فنبي الرحمة ﷺ يعلم أن مصاب ابنته فاطمة فيه جليلاً، فيرحمها، ويسرّ لها بما يكتمه عن الناس أجمعين، فيمهّد لها بدنو الأجل، فلمّا رآها بكت، وحقّ لها أن تبكي، رحمها أيضاً فأخبرها بما يسرّها، ويطيب به خاطرها، ويهوّن عليها مرارة فراقه ﷺ وهو أنها أسرع أهله به لحوقاً، وليس يحمله على الأمرين إلاّ الرحمة التي ملأت قلبه ﷺ على الخلق أجمع حتى إذا صادفت ابنته وهي بضعة منه بلغت أوجها.

«عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرّ إليها حديثاً، فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسرّ إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن! فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها، فقالت: أسرّ إلي: أن جبريل



كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وأنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، فبكيتُ، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟، فضحكت لذلك»[1].

ولم تكن رحمته ﷺ خاصة بابنته الزهراء، بل شملت بناته كلّهن، فمثلاً: زينب رضي الله عنها كبرى بنات النبي ﷺ لها قصّة تنبئ عن عِظَم الرحمة الكامنة في قلب رسول الله ﷺ فهي لم تهاجر مع النبي ﷺ كسائر بناته لأنها كانت زوج أبي العاص بن الربيع، وكان على الشرك وهي على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره[2].

يقول الكلاعي[3]: «فلما سارت قريش إلى بدر؛ سار فيهم أبو العاص، فأصيب في الأسارى، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم؛ بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، **وبعثت فيه بقلادة لها، كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بني بها، فلما**

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٢٦)، حديث رقم (٣٤٢٦).

(٢) انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله للكلاعي (٢/ ٤٢).

(٣) أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى الحافظ الكبير الثقة ت ٦٣٤ هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/ ١٦٤).

رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقّة شديدة، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسـيرها، وتردّوا عليها الـذي لها،فـافعلوا؟ قـالوا: نعـم يـا رسـول الله. فـأطلقوه، وردوا عليها مالها»[1].

ففيما سبق مشهد رحمة مليء بالشجون، حيث يرى نبي الرحمةﷺ أثر مـن آثار خديجة رضي الله عنها زوجته الحبيبة التي آمنت به وواسته بنفسـها ومالهـا، ويـرى في تلك القلادة رحمة ابنةٍ بعيدة غائبة ترحم زوجها الأسـير **وهـو عـلى غـير دينهـا**، فترسل ما بقي عندها من ذكرى الأم الحنـون..هـديتها يـوم زفافهـا، فـرقّ نبـي الرحمة ﷺ حين رأى قلادة ابنته وفيها رائحة خديجة رضي الله عنها وتضـحية ابنتـه، ثـم قال الرسول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى - ليس آمراً بـل مشـاوراً ومخـيّراً بين أمرين ليس أحدهما إثماً -: «**إن رأيتم أن تطلقوا لهـا أسـيرها، وتـردوا عليهـا الذي لها فافعلوا**».

وأبرم الأب النبي اتفاقاً مع الزوج يقضي بـردّ زينـب إلى رسـول الله ﷺ مهاجرة، يقول الكلاعي: «وأقام أبو العاص بمكة، وأقامت زينب عنـد رسـول الله ﷺ حين فرّق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح؛ خرج أبـو العـاص تاجراً إلى الشام ببضاعة من قريش،فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً؛ لقيتـه سريـة

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (٢/ ٤٣).

لرسول الله ﷺ فأصابوا ماله؛ ثمّ أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح، فكبّر، وكبّر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء: **أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع**. فلما سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: «**أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم. إنه يجير على المسلمين أدناهم**» ثم انصرف، فدخل على ابنته، فقال: **أي بنية، أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له**».

وبعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: «**إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له؛ فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به. قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه. فردوه عليه حتى إن الرجل ليأتي بالدلو، ويأتي الرجل بالشنة، والإداوة، حتى إن الرجل ليأتي بالشظاظ، حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً...**»[1].

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (٢/ ٤٤ - ٤٥)، وقد رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٣٠) حديث رقم(١٠٥٠). وإسناده منقطع.انظر: مجمع الزوائد للهيثمي=

وأدع القارئ يجول بفكره بين سطور الرواية ليرى الرحمة القابعة تحت كـل سطر منها، وأجذب نظره إلى قوله ﷺ : «**والذي نفس محمـد بيـده مـا علمـت بشيء حتى سمعت ما سمعتم**». ففي هذا مشهد من **رحمة النبي** ﷺ **بأمتـه** مـن أن يجول في خاطر أحدهم ما يأثم به لو ظن تفضيل النبي ﷺ أهله.

ومرّة أخرى يكون الشّرع هو الحكم دائماً، وتكـون الرحمـة منقـادة لـه «**وإن أبيتم فهو فيء الله**» والعفو أقرب للتقوى، والعفو من الرحمة كما تقدّم ذكره في صلة الرحمة بكثير من مكارم الأخلاق، وهوﷺ نبي الرحمة «**فإن تحسنوا وتـردوا عليـه الذي له؛ فإنا نحب ذلك**» وكانت النتيجة: إسلام العاص بن الربيع رضي الله عنه.

رحمة نبي الرحمة محمد ﷺ بأحفاده:

رؤية الصغار ومداعبتهم مما تُسرّ به النفس، فهو من هـذه الوجهـة سـلوك نابع عن حبّ، ولكن النبي ﷺ الذي لا ينطـق عـن الهـوى سـمّاه رحمـة، حـين

=(٩/ ٢١٦).

والشنة: الخَلِق من كل آنية صنعت من جلد. يعني هنا: القربة البالية. انظـر: لسـان العـرب لابن منظور (١٣/ ٢٤١) (٥/ ١٢٣)، والشظاظ: خشبة محددة الطـرف تـدخل في عـروي الجوالقيْن تجمع بينهما عند حملهما على البعير. النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/ ٤٧٦)، والجوالق –بكسر اللام وفتحها: وعاء من الأوعية معروف. لسان العرب (١٠/ ٣٦٩).

سمّى التقبيل رحمة لّما سأله الأعرابي: أتقبلون صبيانكم،فما نقبّلهم! فقال النبي ﷺ : أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة!»

وسيأتي أنه لما وضع أسامة والحسن على فخذه قال: «**إني أرحمهما**»، ولعلّ في تسمية ذلك رحمة تأييد لما وصل إليه البحث من أن الرحمة تكون حيث الضعف والاحتياج الذي من أظهر أسبابه التي يدركها كافة الناس الصغر.

ومن نماذج رحمته ﷺ بأحفاده ما يلي:

(النموذج الأول): رحمته بأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وهي بنت ابنته زينب، روى البخاري «**عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها**»(1).

قال ابن حجر: «ومن شفقته ﷺ ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض، وكأنها كانت لتعلّقها به لا تصير في الأرض فتجزع من مفارقته،فيحتاج أن يحملها إذا قام، واستنبط منه بعضهم **عظم قدر رحمة الولد** لأنه تَعَارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدّم الثاني، ويحتمل أن يكون ﷺ إنما فعل

(1) صحيح البخاري (1/ 193)، حديث رقم (494).

ذلك لبيان الجواز»[1].

(النموذج الثاني) أخرج البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يأخذني، فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: «**اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما**»[2].

(النموذج الثالث) عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر، وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين، فتقدَّم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى، **فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها**؛ قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس، **فإذا رسول**

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٢٩).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣٦)، حديث رقم (٥٦٥٧). وقد استشكل الشرّاح الحديث، قال ابن حجر: «... أكثر ما قيل في عمر الحسن عند وفاة النبي ﷺ ثمان سنين، وأما أسامة فكان في حياة النبي ﷺ رجلاً،... وصرّح جماعة بأنه كان عند موت النبي ﷺ ابن عشرين سنة،... فيحتمل أن يكون ذلك وقع من النبي ﷺ وأسامة مراهق، والحسن ابن سنتين مثلاً، ويكون إقعاده أسامة في حجره لسبب اقتضى ذلك كمرض مثلاً أصاب أسامة، فكان النبي ﷺ لمحبته فيه ومعزته عنده، يمرضه بنفسه، فيحتمل أن يكون أقعده في تلك الحالة، وجاء الحسن ابن ابنته، فأقعده على الفخذ الأخرى، وقال معتذرا عن ذلك: «**إني أحبهما**»، والله أعلم». باختصار عن فتح الباري (١٠/ ٤٣٤).

الله ﷺ ساجد، وإذا الغلام راكب على ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها،أفشيء أمرت به، أوكان يوحى إليك؟ قال:كل ذلك لم يكن، **ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**»[1].

رحمة النبي ﷺ بنسائه (أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها):

هناك أحاديث عامة تحكي رحمة رسول الله ﷺ بنسائه، وأخرى خاصة يعني تخصّ واحدة بعينها.

فأما العامة:

١ – ما روى «**أنس بن مالك قال: كانت أم سليم مع نساء النبي ﷺ وهن يسوق بهن سوّاق، فقال نبي الله ﷺ : أي أنجشة، رويداً سوقك بالقوارير**»[2] «قال الرامهرمزي: كنّى عن النساء بالقوارير لرقّتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبّهن بالقوارير في الرّقة واللّطافة وضعف البنية. وقيل: سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل....» [3]، والحديث واضح في

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٨١) حديث رقم (٤٧٧٥).صححه الحاكم.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨١١ -١٨١٢)، حديث رقم (٢٣٢٣).

(٣) عمدة القاري (٢٢/ ١٨٦).

دلالته على الرحمة غير محتاج إلى تعليق.

٢ – ما روى السيوطي: «**كان إذا خلا بنسائه ألين الناس، وأكرم الناس ضحاكاً بساماً**»[١].

وأما الأحاديث التي تخبر عن الرّحمة الخاصة، فنتخيّر عدّة مشاهد من حياة نبي الرحمة مع زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المواقف المختلفة، حيث أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزوجّت رسول الله ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة يعني حيث الهدوء النسبي والاستقرار، وعاشت بعده طويلاً إلى سنة ٥٨ هـ، فروت الأحاديث، وأخذ عنها ربع الأحكام كما قال ابن حجر[٢]، وحكت الكثير عن أحداث حياتها مع رسول الله ﷺ ما جعل بين أيدينا مادة وفيرة في مختلف صروف الحياة حلوها ومرّها[٣].

---

(١) الشمائل الشريفة للسيوطي (ص١٣١)، حديث رقم (١٩٢)، قال المناوي في التيسير «ضعيف». انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٤٧).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ١٠٧).

(٣) رغم أن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أول امرأة تزوجها النبي ﷺ من غير خلاف، وهي الزوجة التي عاش معها النبي ﷺ شاباً يافعاً، وكهلاً راشداً، ولم يجتمع معها أحد من نسائه صلوات الله عليهن، واشتهر حبّه لها ﷺ لكن حياة الدعوة والشدّة التي عاشها رسول الله ﷺ فترة زواجه بأم المؤمنين خديجة وحتى وفاتها شغلت روايات أصحابه عنها.



وأم المؤمنين عائشة تزوّجها رسول الله ﷺ وهي ابنة تسع سنوات، وقد تقدّم أن الصغر أحد مثيرات الرحمة، وما يروى من ملاعبة النبي ﷺ لعائشة وملاطفته لها، ولم يُروَ مثله عن سائر الزوجات رضي الله عنهن يدخل في الرحمة إذا نظرنا إلى عامل السنّ، وحاجة الصغير،فمن هذه الوجهة رحمة، ويدخل في الحب من جهة ما يلحق النبي ﷺ من سرور بمجالستها ومؤانستها وملاطفتها، وعلى كلّ حال،فهو الحبّ النبوي الذي لا يخلو أبداً عن رحمة، ومن حوادث الحياة التي تبيّن ذلك:

(الموقف الأول) تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: «**أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ قالت:وكانت تأتيني صواحبي فكنّ ينقمعن من رسول ﷺ قالت: فكان رسول الله ﷺ يسربهن إلي**»[1].

(الموقف الثاني) عن عائشة رضي الله عنها: «**دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش، وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ !! فأقبل عليه رسول**

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٩٠)، حديث رقم (٢٤٤٠)، ومعنى ينقمعن: يرجعن، جاء في النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ١٠٩): «يقال: أقمعت الرجل عني إقماعاً: إذا اطلع عليك فرددته عنك، فكأن المردود أو الراجع قد دخل في قمعه».

الله عليه السلام فقال: دعهما، فلما غفل؛ غمزتهما فخرجتا.

وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإمّا سألت النبي ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه خدّي على خدّه، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة؛ حتى إذا مللت؛ قال: حسبك؟ قلت: نعم. قال: فاذهبي»[1]، وفي رواية: «**قالت: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو**»[2] وقد ذكر ابن حجر: أن قدوم وفد الحبشة كان سنة سبع فيكون عمرها حينئذ خمس عشرة سنة[3].

وحيث إن آل بيت النبوة رضي الله عنهم بشر يعتريهم الغضب والرضا، فلنعرّج على

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٢٣)، حديث رقم (٩٠٧).

روى النسائي عن عائشة قالت: «**خرجت مع رسول الله ﷺ وأنا خفيفة اللحم، فنزلنا منزلاً، فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقني فسبقته، ثم خرجت معه في سفر آخر، وقد حملت اللحم، فنزلنا منزلا، فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك، فسابقني فسبقني، فضرب بيده كتفي، وقال: هذه بتلك**». سنن النسائي الكبرى (٥/ ٣٠٤)، حديث رقم (٨٩٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٠٦)، (٤٩٣٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٢/ ٤٤٥).



نموذج رحمة في موقف مشادّة بين الزوجيْن يرتفع فيه صوت الزوجة، وقد صادف سمع أبيها الذي عرف بحبّه الشديد لرسول الله ﷺ: روى أبو داود «**عن النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر - رحمة الله عليه - على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل؛ تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟ ...الحديث**»[1]، وفي لفظ: «**فحال النبي ﷺ بينه وبينها قال: فلما خرج أبو بكر جعل النبي ﷺ يقول لها يترضاها: ألا ترين أني قد حلت بين الرجل وبينك**»[2].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٠٠)، حديث رقم (٤٩٩٩). قال المنذري: وأخرجه النسائي وليس في حديثه ذكر أبي إسحاق السبيعي. وانظر: سنن النسائي الكبرى (٥/ ١٣٩) حديث رقم (٨٤٩٥).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٢٧١)، حديث رقم (١٨٤١٨)، وقد نقل ابن حجر عن القاضي عياض أنه قال: «إنما اغتفرت مغاضبة عائشة للنبي ﷺ مع ما في ذلك من الحرج؛ لأن الغضب على النبي ﷺ معصية كبيرة؛ لأن الحامل لها على ذلك الغيرة التي جبلت عليها النساء وهي لا تنشأ إلا عن فرط المحبة، فلما كان الغضب لا يستلزم البغض؛ اغتفر؛ لأن البغض هو الذي يفضي إلى الكفر أو المعصية، وقد دل قولها «**لا أهجر إلا اسمك**» على أن قلبها مملوء بمحبته ﷺ». فتح الباري (١٠/ ٤٩٨).

(الموقف الثالث) يظهر خلق الرحمة عند نبـي الرحمـة في حادثـة مـن أكثـر الحوادث ألماً بل لعلّ تسميتها مصيبة أقرب للصواب، وذلك مـا حـدث عنـدما خاض المنافقون ونفر من المسلمين في عرض رسول الله ﷺ وفي أحب زوجاته إليه، ولنستمع إلى القصة كما روتها صاحبتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قارئين تحت سطورها ما يمكن أن تحمله لنا الحروف من مشاعر مخبوءة:

قالت عائشة رضي الله عنها: «**فأصبح عندي أبواي قد بكيت ليلتين ويوماً، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي؛ إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن كذلك؛ إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل فيّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد، ثم قال: يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه. فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته؛ قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن....الحديث إلى أن قالت:**

«فو الله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة، احمدي الله، فقد برأك الله. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ﴾... الآيات[1]» [النور: ١١].

ما سبق طرف من حادثة الإفك الذي حاكته ألسنة المنافقين، يحكي مشاعر الزوجة المتهمة والزوج الصابر المنقاد لأوامر الوحي، وشاهد الرحمة في هذا الموقف هو **مكوث النبي ﷺ شهراً ينتظر الوحي** لا يحدّث عائشة رضي الله عنها بما يسوؤها، ولا يطلّقها، ولا يواجهها بما تكره حتى إذا مضى شهرٌ كعام في طوله وألمه، كلّمها ﷺ بكلام رفيق غلبت عليه لهجة الواعظ المشفق رغم شناعة التهمة، وهذا من رحمته ﷺ بها بغير شك.

(الموقف الرابع) لا يمكن أن نتحدث عن مواقف الرحمة في علاقة نبي الرحمة بأسرته دون أن نعرّج على ما يحصل بين الضرائر من أمور فيها نوع عدوان

(١) صحيح البخاري (٢/ ٩٤٥)، حديث رقم (٢٥١٨).

من واحدة على الأخرى:

«عن عائشة قالت: ما رأيت صانعة طعام مثل صفية، أهدت إلى النبي ﷺ إناء فيه طعام، فما ملكت نفسي أن كسرته، فسألت النبي ﷺ عن كفارته؟ فقال: إناء كإناء، وطعام كطعام»[1].

والرحمة هنا رحمة عقلانية مدركة لجانب ضعف عند المرأة يستدعي الرفق والشفقة لا العتاب والتأنيب، حيث نلحظ اكتفاء نبي الرحمة ﷺ بإجابة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على سؤالها (كفارة ما فعلت)، **ولم يذكر الحديث تعنيفاً أو عتاباً أو لوماً أو تأنيباً** لزوجته على غيْرتها التي دفعتها لكسر الإناء، وما ذلك إلاّ لأن النبي ﷺ رحم لزوجته ما جبلت عليه من الغيرة خاصة من الضرائر.

رحمة النبي ﷺ بأبناء عمومته (ربيبه، وابن عمّه، وصهره علي رضي الله عنه):

من صور رحمته ﷺ بأهل بيته تفقّده إيّاهم، واهتمامه بأحوالهم ودقائق مشكلاتهم،رغم كثرة مسؤولياته، وعظم وظائفه،ففي إحدى المرّات علم نبي الرحمة أن شيئاً كدّر صهره علياً رضي الله عنه فخرج إليه يسترضيه ممازحاً دون أن تشغله

(١) سنن النسائي الكبرى (٥/ ٢٨٦)، حديث رقم (٨٩٠٥)، وأخرجه ابن الجارود في المنتقى من حديث أنس رضي الله عنه. المنتقى ص (٢٥٥) حديث رقم (١٠٢٢).



معرفة السبب أو تحديد المخطئ،فهو يحفظ للزوجين خصوصية ما بينهما مكتفياً بترضية الغاضب منهما:

في حديث طويل عند البخاري أن سهل بن سعد قال: «**قال: دخل عليٌّ على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ : أين ابن عمّك؟ قالت: في المسجد. فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره،فجعل يمسح التراب عن ظهره،فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين**»[1].

نبي الرحمة ﷺ يودّع أحبّته:

عند الموت وساعات الاحتضار تبلغ الرحمة أوجها؛ لأن الضعف عام غالب، وقضاء الله نافذ في خلقه، ولقد فقد نبي الرحمة ﷺ جميع أولاده وثلاثة من بناته وبعض أحفاده في حياته، ورُؤي رسول الله ﷺ يبكي، عيناه تذرفان، وبكي لبكائه الصحابة، ولم يكن ذلك ضعفاً منه أو حاشاه اعتراضاً على حكم الله تعالى، بل هو رحمة في قلب المؤمن كما قال ﷺ : «**فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الرحمة، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان**» الذي في رواية ابن عبّاس رضي الله عنه كما سيأتي.

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٥٨)، حديث رقم (٣٥٠٠).

روى الطبراني حديثاً «عن أنس رضي الله عنه في قصّة وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ وفيه: «**فقلنا: يا رسول الله رأيناك مهتما حزينا لم نستطع أن نكلمك، ثم رأيناك سرّي عنك فلم ذاك؟ قال: كنت أذكر ضيق القبر وغمّه وضعف زينب فكان ذلك يشق علي، فدعوت الله عز وجل أن يخفف عنها ففعل، ولقد ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين إلا الجن والأنس**»[1].

وعن ابن عباس قال: «**بكت النساء على رقية رضي الله عنها فجعل عمر رضي الله عنه ينهاهن فقال رسول الله ﷺ : مه يا عمر، ثم قال: إياكن ونعيق الشيطان، فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الرحمة، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان. قال: وجعلت فاطمة رضي الله عنها تبكي على شفير قبر رقية، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الدموع عن وجهها باليد، أو قال بالثوب**»[2].

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر. قال: فرأيت عينيه تدمعان...**

(١) انظر: المعجم الكبير (١/ ٢٥٧)، حديث رقم (٧٤٥)، المعجم الأوسط (٦/ ٦٦)، حديث رقم (٥٨١٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٧): «إسناده ضعيف».

(٢) رواه البيهقي، وذكر أنه وإن كان غير قوي إلا أن لمعناه شواهد صحيحة. انظر: سنن البيهقي (٤/ ٧٠) ح (٦٩٥٢).



الحديث»[1].

وروى البخاري أيضاً عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «**أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إنّ ابناً لي قبض، فائتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه: سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، ونفسه تتقعقع، قال: حسبته أنه قال: كأنها شن[2] ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟! فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[3].

وفي الزهد لابن السري: «**عن ابن عباس قال: حضرت ابنة لرسول الله ﷺ صغيرة، فأخذها رسول الله ﷺ فضمها إلى صدره، ثم وضع يده عليها، فقضت وهي بين يدي رسول الله ﷺ فبكت أم أيمن، فقال رسول الله ﷺ : يا أم أيمن، أتبكين ورسول الله عندك؟ فقالت: مالي لا أبكي ورسول الله ﷺ**

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٣٢)، حديث رقم (١٢٢٥).

(٢) «القعقعه»حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرّك، و«الشَّن»...: «القربه الخلقة اليابسة». فتح الباري(٣/ ١٥٧).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٤٣١)، حديث رقم (١٢٢٤).

يبكي! قال: فقال رسول الله ﷺ : إني لست أبكي، ولكنها رحمة، ثم قال رسول الله ﷺ : «المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جبينه، وهو يحمد الله عز وجل»[1].

* * *

(١) الزهد لابن السري (٢/ ٦١٧)، حديث رقم (١٣٢٨)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى من طريق السري (١/ ٦٠٥)، حديث رقم (١٩٧٠).قال المناوي: «إسناده حسن» انظر: التيسير بشرح الجمع الصغير (٢/ ٤٥٢).



الخاتمة

ذكرت فيما تقدّم طرفاً يسيراً من معالم رحمة النبي ﷺ في علاقته بأسرتـه، معترفةً بغاية التقصير،فما هذه المشاركة إلاّ جهد المقلّ في جناب رسول الله ﷺ ، فإنه من العسير الإفصـاح بالمقـال واللغـة والعبـارات والمفـردات عـن لطـائف وأسرار خلق الرحمة عند رسول الله ﷺ ، فلا يبقى لنا إلا نقـل الروايـات عـن بطون الكتب، وإشارات وتلميحات لمعان بقي الفكـر عنـدها مشـدوهاً مطرقـاً معجباً مطأطاً في إجلال لنبي الرحمة محمد ﷺ .

وأشير إلى أنّ هذه الرحمة الفيّاضة من رسول الله ﷺ على أهل بيته بادلهـا أهل بيته برحمة، وإن ضاق المقام عن ذكر أمثلة لها[1] لتكون الرحمة والـدفء هـي

(١) من ذلك ما روى أبو ثعلبة الخشني ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رجع مـن غـزاة أو سفر أتى المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم ثنيّ بفاطمة ﷺ ثم يأتي أزواجه، فلمّا رجع؛ خـرج من المسجد، تلقته فاطمة عند باب البيت تلثم فاه، وعينيهـا تبكـي، فقـال لهـا: يـا بنيـة مـا يبكيك؟ قالت: يا رسول الله، ألا أراك شعثاً نصباً قد أخلولقـت ثيابـك! قـال، فقـال: فـلا تبكي فإن الله ﷻ بعث أباك لأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مـدر ولا شـعر إلا أدخـل الله به عزاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل» أخرجه الحاكم وصـححه. انظـر: المسـتدرك=

العلامة الفارقة لبيوت رسول الله ﷺ ومن بعده بيوت المسلمين وعلاقات الأفراد فيها تأسياً بأسوتهم الحسنة رسول الله ﷺ .

ولعلي في خاتمة البحث أذكّر القارئ بأمور تعينه في أن ينقل هذا التقديم المعرفي لخلق الرحمة المرتبط بنماذج حيّة من حياة رسول الله ﷺ في علاقته بأسرته إلى مرحلة الاقتداء والتطبيق:

١ – **إن الرحمة واجب حتمي** ليس مجرّد خلق من نافلة الأخلاق الحسنة، يشهد لذلك قوله ﷺ : «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[1]، ورغم أن في الرحمة جزءاً شعورياً خلقةً إلا أنه يمكن اكتسابها بإدامة العمل بالجزء السلوكي منها،يقول الإمام الغزالي ت٥٠٥هـ: «...هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تكلّف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء. وهذا

=على الصحيحين (٣/ ١٦٩)، حديث رقم (٤٧٣٧).

وقد ذكرنا كيف رحم نساء النبي ﷺ رسول الله في مرضه الأخير فأذنوا له أن يكون في بيت عائشة لما رأوه يسأل: أين أنا غدا؟يكررها.ورأينا عائشة كيف أمرت الجاريتين بالانصراف لما نام رسول الله ﷺ لئلا توقظه، وأمثلة ذلك كثيرة.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٣٦)، حديث رقم (٣٧٤)، والحاكم في المستدرك وصحّحه. انظر: المستدرك(٤/ ٢٧٧) حديث رقم (٧٦٣٢)، وابن حبان في الصحيح (٢/ ٢٠٩) حديث رقم(٤٦٢).

من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، أعني النفس والبدن،فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح، فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دوْر»[١].

وهذا مصداق قوله ﷺ فيما روى أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه **«أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: إن أردت تليين قلبك؛ فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»**[٢].

٢ – إن من أعظم آثار الرحمة على الفرد أنه يستجلب بها رحمة الله تعالى وقد تقدّم قول رسول الله ﷺ **«وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»** وقال الحسن: كنا نسمع أن إحدى مواجب الرحمة: إطعام الأخ المسلم الجائع»[٣].

٣ – إن إعادة قيمة الرحمة للإنسانية المعاصرة هي مهمّة المسلمين، وهو

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٩).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢٦٣) حديث رقم (٧٥٦٦)، سنن البيهقي الكبرى (٤/ ٦٠) حديث رقم (٦٨٨٦).
قال ابن حجر عند إسناد أحمد: «حسن». انظر: فتح الباري (١١/ ١٥١).

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف لأبي الفتح الأبشيهي (١/ ٣٩٤).

إحياء سنة حسنة سنَّها نبي الرحمة رسول الله ﷺ وإنقاذ للعالم من مهلكة محققة.

٤ – إنّ غَرس خلـق الرحمـة في الأسرة هـي الخطـوة الأولى مـن خطـوات الإصلاح الاجتماعي، والبداية هي التقديم المعرفي الذي حواه هذا المؤتمر، ونشر تلك المعرفة وترديدها،ثمّ تقديم القدوة عن طريق التطبيق الفعلي لهذه للقيمـة في الأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة تحت شعار «ابدأ بنفسك ثم بمن تعـول» تتبعـه محاكاة وتقليد من الأفراد تتكرر حتى تصبح خلقـاً، ومـن ثـمّ سـمة غالبـة عـلى المجتمع.

٥ – إننا نتخيّل أدنى آثار شيوع الرحمة: أن تقلّ حالات الطـلاق، وينتهـي العنـف الأسري، وينـتعش الاقتصـاد، ويسـتبدل النـاس التفكـير في القنابـل الجرثومية والعنقودية وأسلحة الدمار بتقنيات لإسعاد الناس وتطوير العالم.

* * *



التوصيات

▪ إعلان نتائج المؤتمر في مؤتمر صحفي يعقد في مختلف دول العالم، ومنها الدانمارك، تنتخب له لجنة مكوّنة من أعضاء من المشاركين في المؤتمر والقائمين عليه وعدد من المترجمين.

▪ يتزامن ذلك مع ترجمة وطباعة الأبحاث باللغات العالمية الأخرى خاصّة في موضوعات المحور الأول وموضوعات منتقاة من المحور الثاني، والقيام بإهدائها في تلك المناسبة.

▪ دعوة المملكة العربية السعودية إلى المبادرة بتسجيل يوم عالمي للتراحم الإنساني تحتفل به المنظمات العالمية، يطلق عليه يوم «الرحمة أو يوم التراحم»،توحّد فيه الجهود الرسمية والأهلية لنشر قيمة الرحمة بين الناس في مظاهر منها: زيارات الأفراد للوالديْن والأقارب، وزيارات الأفراد والمنظّمات والقطاعات لدور العجزة والمسنّين والمعاقين والأسر الفقيرة، وتقدير العمالة وأصحاب المهن البسيطة، والنظر في قضايا المعسرين في السجون، والمتعثرين من الطلبة.... الخ.

▪ دعوة إلى نشر الثقافة القيمية بتدريس مادة (القيم) في منهج مستقل

ضمن المناهج الدراسية، ولدينا محتوى ثري جداً في ديننا وتراثنا وتاريخنا، وبقدر النجاح في إحياء قيم الإسلام في نفوس الناس يكون النجاح في الاستفادة من التقنيات والتطورات المادية، يقول د.جلاد: «...ما أهمية توفير مختبرات الحاسوب مثلاً عند معلم لا يؤمن بالجدية والإخلاص في العمل،... إن أي فكر تربوي وتجديدي لا يضع في صلب اهتمامه القضية القيمية سيبقى فكراً نظرياً يدور في حلقة مفرغة لأنه يهمل الأساس البشري الذي يحكم عمليات التطوير والتجديد»(١).

وصلِ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) انظر: تعلم القيم وتعليمها/ د ماجد زكي الجلاد ص (١٠١).



قائمة المراجع

أ – القرآن والتفسير:

(١) **القرآن الكريم.**

(٢) **التفسير الكبير**، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م).

ب – الحديث الشريف وعلومه:

(٣) **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية (بيروت)، ط ٣ (١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

(٤) **الأربعين لأبي الحسن بن أسلم الطوسي**، تحقيق: مشعل بن باني المطيري، دار ابن حزم (بيروت)، ٢٠٠٠م.

(٥) **ألفية السيوطي في علم الحديث**، شرح الأستاذ أحمد محمد شاكر، المكتبة التجارية (مكة المكرمة).

(٦) **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ)**، تأليف أحمد محمد شاكر، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)،ط ٣ (١٤٠٨هـ).

(٧) **تدريب الراوي**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبدالوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة (الرياض).

(٨) **التيسير بشرح الجامع الصغير**، للحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي ت(١٠٣١)، مكتبة الإمام الشافعي (الرياض)، ط ٣ (١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

(٩) **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، زين الدين أبي الرف عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مؤسسة الكتب الثقافية.

(١٠) **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث بن داود السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

(١١) **سنن البيهقي الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،مكتبة الباز (مكة المكرمة)، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(١٢) **سنن النسائي الكبرى**، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١١هـ١٩٩١م).

(١٣) **شرح الأربعين النووية**، علي بن داود بن العطّار (٧٢٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية (بيروت)، ط١ (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨ م).

(١٤) **شرح النووي على صحيح مسلم**، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦)، إحياء التراث العربي (بيروت) ط ٢ (١٣٩٢هـ).

(١٥) **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١(١٤٠٨هـ ١٩٨٧ م).



(١٦) **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٢ (١٤١٤هـ ١٩٩٣ م).

(١٧) **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، اليمامة (بيروت)، ط ٣ (١٤٠٧هـ ١٩٨٧)، ترقيم: محمد مصطفى البغا.

(١٨) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

(١٩) **طرح التثريب شرح التقريب**، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي (ت ٨٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١.

(٢٠) **عمدة القاري**، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

(٢١) **فتح الباري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت).

(٢٢) **فيض القدير**، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى (مصر)، ط ١ (١٣٥٦هـ).

(٢٣) **الكليات**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م.

(٢٤) **مجمع الزوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي (القاهرة، بيروت) ١٤٠٧هـ.

(٢٥) **مرقاة المفاتيح**، علي بن سلطان محمد القاري(ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م).

(٢٦) **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١١، ١٩٩٠).

(٢٧) **مسند أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة (مصر).

(٢٨) **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين (القاهرة).

(٢٩) **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،مكتبة الزهراء (الموصل)، ط ٢ (١٤٠٤هـ ١٩٨٣م).

(٣٠) **المنتقى لابن الجارود**، عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري (ت ٣٠٧)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية (بيروت)، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م.

ج – السيرة النبوية:

(٣١) **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله**، أبو ربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤هـ)، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب (بيروت)، ١٤١٧هـ.



(٣٢) **دلائل النبوة**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

(٣٣) **سيرة ابن إسحاق**، محمد بن إسحاق بن يسار(ت١٥١هـ)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث.

(٣٤) **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد،دار الجيل(بيروت)، ط١ (١٤١١هـ).

(٣٥) **الشمائل المحمدية**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى (ت ٢٧٩)، تحقيق: سيد عباس الحليمي، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)، ط١ (١٤١٢هـ).

د – الأخلاق والتزكية:

(٣٦) **إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة (بيروت).

(٣٧) **بصائر ذوي التمييز**، للفيروزآبادي.

(٣٨) **تعلم القيم وتعليمها (تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم)**، د. ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

(٣٩) **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، للشيخ أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٠٠هـ ١٩٨٠).

(٤٠) **الزهد**، هناد بن السري الكوفي (ت ٢٤٣هـ)،تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء الإسلامي (الكويت) ١٤٠٦هـ (ط ١).

(٤١) **فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين**، مصطفى العدوي، دار بلنسية (الرياض)، ط ٢ (١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م).

هـ – اللغة والأدب:

(٤٢) **تاج العروس،** محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، جماعة من المحققين، دار الهداية.

(٤٣) **التعاريف،** محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر (بيروت دمشق)، ط ١ (١٤١٠هـ).

(٤٤) **التعريفات،** علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨١٦هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ١،(١٤٠٥هـ).

(٤٥) **تهذيب اللغة،** أبو منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١(٢٠٠١).

(٤٦) **لسان العرب،** محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر (بيروت)، ط ١.

(٤٧) **محاضرات الأدباء،** أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم (بيروت)، (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

(٤٨) **المدهش،** أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ٢ (١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).

(٤٩) **المزهر في علوم اللغة والأدب،** جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية (بيروت) ط ١ (١٤١٨هـ ١٩٩٨م).

(٥٠) **المستطرف في كل فن مستظرف،** شهاب الدين أبي الفتح محمد بن أحمد الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ٢ (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).



(٥١) **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات،محمد النجار، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

(٥٢) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الراوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت)، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

و – التواريخ والتراجم:

(٥٣) **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

(٥٤) **تهذيب الكمال للمزي**، يوسف بن عبد الرحمن المزي، أبو الحجاج (ت ٧٤٢هـ)،مؤسسة الرسالة.

(٥٥) **حلية الأولياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)،دار الكتاب العربي (بيروت)،ط ٤ (١٤٠٥هـ).

(٥٦) **شذرات الذهب**، عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي ت (١٠٨٩هـ)، دار ابن كثير (دمشق)، ط ١ (١٤٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط.

(٥٧) **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر (بيروت).

***

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



هاتف : ٢٥٨٢٧٤٩ – ١ – ٠٠٩٦٦

فاكس: ٢٥٨٢٧٤٣ – ١ – ٠٠٩٦٦

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٤٦٨١١ الرياض ١١٥٤٢

www.sunnah.org.sa
sunnah@sunnah.org.sa